

ولعله يصح ان نعتبر ان ما يقوله الشاعر نزار قباني يقع في هذا الاتجاه حين يقرر « ان اهمية شعراء المقاومة تنبع من كونهم تحولوا في اذهاننا الى رموز . وعلى هذا الاساس نفهمهم ونرحب بهم كمحاربين دون ان نتدخل في تفاصيل ملابسهم وطرز بنادقهم وعدد الازرار في معاطفهم العسكرية . ما دام شعراء المقاومة في فلسطين المحتلة يطلقون الرصاص في صفوفنا فاننا نرحب برصاصهم . . . أما بقية التفاصيل الجمالية والفنية فليس هذا وقتها . . . » (٩). ويتبع في الاتجاه نفسه قول ادوار البستاني ، « فنحن ميالون — عندما نعالج فعالية أدب المقاومة في فلسطين المحتلة — الى ان نتخطى القواعد الجمالية الشكلية وأن نضحى ببعض متارف الشعر ، لننتقل رأسا الى الطاقة الحيوية والثورية التي يمكن لهذا الادب ان يفجرها في بيئته الضيقة أولا ، ومن ثم في الضمير الانساني على النطاق الاوسع » (١٠).

ويتوجب علينا ان نسجل ، ان غريفا آخر من النقاد اهتم بالناحية الفنية لشعر المقاومة وحاول ابرازها ، كما نلاحظ من الاستفتاء الذي أجرته مجلة « الطريق » مع بعض النقاد حول هذا الشعر ، حين طرحت السؤال : « كيف تقيمون الدور الوطني والاجتماعي والجمالي الذي اداه شعر المقاومة في فلسطين المحتلة ؟ » (١١). ولعل النظرة الاقرب الى الصواب هي تلك التي جعلت قبية هذا الشعر الفنية تواما للتجربة النضالية التي ولدته؛ فلا يعود هناك فاصل بين حدس وتعبير . ومن ذلك قول الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي مخاطبا محمود درويش : « فأنت شاعر مجيد لانك شاعر مناضل . هذه هي فرسك كما عودتها . لن يستجيب لك الشعر الا وأنت على تلك الفرس الخطرة . وأنت تسلحت بنظرية ثورية ، وتربيت في حزب ، وسوف ينتظر الناس ومنتظر نحن أيضا ، في أي شيء تختلف تجربتك أنت — وقد صرت وحدك — عن تجارب الذين لا يملكون هذا التراث » (١٢).

هذا الحديث يطرح قضية الالتزام ، حيث يصبح الشعر والنضال وجهين لحقيقة واحدة ، ولا يكون هناك شعر الا بالتجربة النضالية التي ولدته . وهنا يكون الالتزام فرسا خطيرة ، لان على الشاعر ان لا يستسلم للفرس الهائجة تقذفه كما تشاء فيقع . بل عليه ان يروض هذه الفرس ، وأن يكون هو المسيطر عليها ، فينطلق بها كيفما أراد . لذا فالالتزام الصحيح ليس انسيافا مع عقيدة تفرض على الشاعر ، بل هو فعل حرية ؛ بمعنى ان الشاعر يعود بنفسه فيكتشف العقيدة التي تصبح جزءا من ذاته لا سلاسل خارجية تقيد .

من هنا نجد اجابة على السؤال : هل محمود درويش مناضل أم شاعر ؟ حيث لا يعود هناك مجال لفصل بين الشعر والنضال . ومن هنا يكتسب خروج محمود درويش من الارض المحتلة خطورته ، اذ ان التجربة النضالية هي التي خلقت الشاعر الملتزم . وقد وعى محمود درويش هذه الحقيقة فقال : « ومن هنا لم يعد من حقي التصرف كمسافر او سائح ، ولهذا السبب أشعر انني مطالب أمام الرأي العام بتوضيح هذا ، وسأقدم تحديداً عامة لاتابع بعدها طريقي » (١٣).

ولكن النضال لا يرتبط بقعة جغرافية ، بل هو في الاساس موقف ، والاحتلال الصهيوني لا يختص بفلسطين فحسب ، بل هو قضية الامة العربية بأسرها ، المهدة حضاريا في وجودها واستمرارها . ويلوح لي ان خروج محمود درويش من الارض المحتلة مرتبط بايمانه بوحدة مصر هذه الامة اذ يقول : « انني أهدق في أعماق نهر النيل وأرى رحلة التاريخ الصاعدة دائما ، وأسمع خرير الاردن وبردى والفرات في نغم واحد تتدفق على الرغم من الركود المؤقت الذي لن يستمر طويلا » (١٤). لذا لا يعود خروج محمود درويش من فلسطين المحتلة هروبا بالضرورة ، بل يمكن ان يشكل تغييرا لموقع